البعد الديني وأثره في حوار المصالحة الوطنية

عتيقة قويدر عمار
قسم علم الاجتماع – جامعة الزاوية
EMAIL: atekaa.gaweedr.ly@gmail.com

ملخص البحث:

الاختلاف سنة إلهية، في حدود التنوع، وإذا ما وصل إلى النزاع ترتب عنه أزمات سياسية واجتماعية ... فيصبح قضية تتطلب الاهتمام من جميع الأطراف المعنية.

وللبحث العلمي دوره في دراسة مشاكل المجتمع والبحث عن حلول بأبعاده المختلفة.

وللبعد الديني دوره في نشر ثقافة حوار المصالحة؛ للحدِّ من الأزمات المترتبة عن النزاعات المختلفة لما له من تأثير في تهدئة النفوس وهداية العقول؛ لارتباطه بالأحكام التشريعية التي تحقق للملتزم بها سعادة الدارين، فينعكس ذلك على أمن المجتمع واستقراره، والوطن ازدهاره

Abstract

and if it reaches ، within the limits of diversity،Difference is a divine law conflict and results in political and social crises...it becomes an issue that requires attention from all concerned parties.

Scientific research has a role in studying society's problems and searching for solutions in its various dimensions.

The religious dimension has a role in spreading the culture of reconciliation dialogue. To reduce the crises resulting from various conflicts because of its effect in calming souls and guiding minds. Because of its connection to the legislative this ،provisions that achieve happiness for those who abide by them in both countries and the country’s prosperity.،is reflected in the security and stability of society

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد النبي الأمي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن مايشهده الوطن منذ سنوات جدير بالاهتمام والبحث كمحاولة لفهم التحولات الراهنة على مستوى الفرد والمجتمع، لاقتراح حلول تستجيب لمعطيات الواقع تأثيراً في الأفراد وتوجيه أخلاقهم وقيمهم تجاه القضايا التي يعاني منها الجميع، وفي مقدمتها قضية المصالحة الوطنية.

إن الواقع السياسي والاجتماعي وما يرتبط به من النواحي التي تتعلق بالشأن العام للمجتمع، يحتاج إلى البحث عن حلول، ووجود آليات لتفعيل هذه الحلول، والخروج من حيز التنظير إلى حيز التفعيل، ويتمثل ذلك في السعي في مصالحة وطنية شاملة.

ولما كان الدين من أهم مرتكزات المصالحة، كانت الدعوة إلى الوحدة ولمِّ الشمل من الأمور التي أخذت حيزاً واضحاً في الشريعة الإسلامية، ونبذ الافتراق والاختلاف والخصومة وقد جاء الكثير من النصوص القرآنية والنبوية تدعو إلى ذلك كتوجيهات خاصة وعامة تأكيداً على أهميتها.

ولما كان الاختلاف سنة إلهية مقررة إلا أنه دعا إلى الحدِّ منه قال تعالي: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحُجُرَات : 13] .

ولما جعل الإسلام الحوار من آليات التقارب قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النَّحۡل : 125].

كان اختيار هذا الموضوع تحت عنوان: **البعد الديني وأثره في حوار المصالحة الوطنية**

للإجابة عن السؤال المحوري: هل للبعد الديني دور في ثقافة حوار المصالحة الوطنية؟

بالإضافة إلى:

- المشاركة الفاعلة في حل قضايا الوطن.
- التحسيس بأهمية حوار المصالحة القائم على الأساس الديني.

تتمثل **أهمية** الموضوع في محاولة البحث عن حلول لأزمة التوافق الوطني لينعم الوطن والمواطن بالأمن والاستقرار.

أهداف البحث:

- التعرف على البعد الديني وأثره في توجيه المجتمع.
- التعرف على مفهوم الحوار ودوره في إنجاح المصالحة.
- التعرف على مفهوم المصالحة الوطنية.

وقد اعتمد في البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي.

يتكون البحث من المحاور الآتية:

1. البعد الديني وأثره في توجيه المجتمع.
2. الحوار ، مفهومه، ومشروعيته.
3. المصالحة الوطنية، مفهومها، وما يرجى منها.
4. مفهوم الآخر وأسس قبوله.

البعد الديني وأثره في توجيه المجتمع

البعد الديني: هو ما نؤمن به من معتقدات وقيم، وما يتشكل من سلوك ومعاملات على مستوى الفرد والجماعة تلازماً مع تلك المعتقدات والقيم. وعليه فإن لإجراءات المصالحة في مجتمعنا بعداً دينياً إذا تم الإنصات إلى كل شرائح المجتمع، وعليه كان من المفروض أن تقفز فوق حواجز التحديات والعراقيل. فالنزعة الدينية –غير المتشددة –تغلب على هذا المجتمع، ولسان حال كل فرد يقول: متى نتفق؟ الله نهانا عن الاختلاف، متى تتحد كلمتنا؟ ديننا يأمرنا بالاتحاد، متى نحس بالأمان؟ ديننا الإسلام و....؟ و...؟ و...؟ ولهم من النصوص الشرعية ما يؤيد هذا الرجاء؛ ذلك لأن الوازع الديني هو المحرك الأساسي للإنسان المسلم وهو يسعى إلى [التعمير]... ليس مدفوعا فقط بنزعاته وميوله الاجتماعية والتعميرية، بل هو ينفذ تعاليم دينه الإسلامي الحنيف التي تحثه على العمل والبناء والتعمير وما يرتبط بذلك من إخاء وتعاون وتراحم وتضامن ونفع عام وما إلى ذلك من المعاني الكريمة ذات القيمة الاجتماعية التي يحث عليها الإسلام[1] في كثير من الآيات والأحاديث.

هذا هو الإسلام؛ ذلك [لأن] كل دين أو منهج فسدت به الحياة إنما هو جملة إدراكات بشريه ناقصة، وأكاذيب ونزوات وشهوات، أو دين منسوخ محرف ...قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾[2] .[القَصَص:50]. فالإيمان بالله وبما جاءت به الشريعة الإسلامية من أوامر ونواهي ووجوب الإقرار بالعبودية الكاملة لله تعالى أساس كل استقامة في الحياة، وكل توازن يسعى إليه الإنسان في حياته بين نوازع الروح ونوازع المادة، وأساس كل عمل صالح، ومراقبه الله في السر والعلن والحذر من غضبه، ومن السقوط والانهيار والتهور والتسرع والغرور والتجبر والطغيان. [1]

إن المنهج الإلهي يجنب الإنسان الآثار السلبية التي يقع فيها دون إدراكه، ومعارفه، وحركته ونشاطه، على مستوى الفرد والمجتمع كاليأس والقنوط والحسد والأنانية، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾[2] [طه :123].

فللدين الدور الأعظم في توجيه الإرادة إلى الخير من خلال التكاليف الواردة بأساليب متنوعة في شكل أوامر ونواهي، بعد تأسيس العقيدة السليمة التي تجعل المرء دائماً يستشعر الرقابة الإلهية، فيلزم نفسه تحت هذا الشعور بالجدية في الامتثال، فينعكس ذلك في سلوكه فتجده حيث الإصلاح والتعمير ،وينأ

عن النفار والإفساد، (فالدين هو هذه الحكمة السامية التي تعين الإنسان [على تحقيق] غاية جديرة بنشاطه، وتمده بالقوة الباطنة الضرورية لطلب هذه الغاية طلباً فعالاً مثمراً)[3]. فالعالم اليوم في حاجة إلى الدين، لا سيما الإسلام، الذي يمثل جسراً للقيمة الروحية، والقيم الأصيلة الفاعلة؛ بانطلاقها من القرآن الكريم، الأصل الأول الذي لا يحرف الحقائق المطلقة، ولا يعطل المهام النبيلة،[4] وهذا يتوافق مع عناصر تكوين الإنسان.(إن من عناصر التكوين للإنسان الروح، الذي منحه قبس من صفاته تعالى، والتي تزدهر بها حياته الباطنه والعقلية، والتي كان له

على أساسها دوافعه الفطرية النفسية، والنفسية المكتسبة، والتي توصف جميعا بأنها واعية...)[5]؛ ذلك لأن العامل المؤثر في هذا الإنسان هو الإيمان ([فالإيمان] الحق هو الذي يشبع هذا الدافع، وهو الذي تتجه إليه مقاصد السلوك الإنساني، فيعلو بالصفات الإيجابية، ويتخلص من الصفات السلبية وفق أصول وقواعد ثابتة وأن هذا الإيمان الموافق للفطرة الإنسانية يجد أرضا خصبه عند الإنسان ليكون دافعاً أقرب للإلزام منه للاختيار، وهو ما عبر عنه الرسول – ﷺ – بحلاوة الإيمان)[1][2]. إن الالتزام الأخلاقي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالنزعة الدينية، وقد ارتبطت الأخلاق الحسنة بالتدين على مستوى الفرد والمجتمع ويعتبر الخلق الكريم الضامن القوي– بعد الإيمان– لكل من الفرد والمجتمع ضد عوامل الانحراف والفساد، فالعلم وحده لا ينفع دون عاصم الخلق، والدساتير والقوانين لا تصلح دون وازع الضمير وقد أكد– ﷺ – على ذلك في قوله: ((بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[3][4]. وقال– ﷺ – ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا))[5] وقال– عما يدخل الناس الجنة ((تقوى الله وحسن الخلق))[6]،(إن الأخلاق في الإسلام ليست فضائل متفرقة، ولا مجموعة من الحِكم والمواعظ، ولا أعرافاً قانونية ، ولا عادات موروثة، ولا تقاليد منقولة، ولا منافع عاجلة، ولا معاملة بالمثل، بل إنها مثل العبادات والمعاملات مرتبطة بالعقيدة في واقع الحياة، وهي الدليل على تمكن الإيمان من القلب، فمجرد الإيمان لا يكفي ولا

يصبح كاملاً حتى يترجم إلى عمل صالح، وأخلاق فاضلة، ويطبق عمليا في السلوك)[1].

هكذا يكون المؤمن باطناً وظاهراً، قلب طاهر، ونفس زكية، وسلوك قويم وهذا المؤمن هو مكون الأمة، وإذا صلح الفرد في الأمة الإسلامية صلح المجتمع.

(إن هذه البيئة الاجتماعية التي تعيش في جو هذا التكليف لها خصائصها في توحيد مسار أفراد المجتمع؛ لأن له مقوماته العامة التي تتفق مع جميع خصائصهم، والعمل على تنظيمهم في جانب الايجابية، كما يعمل على التوفيق بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ولا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[2][المَائِدَة:2].

إن التسليم بما تقرره الشريعة دلالة على سلامة الدين وتسليم القلب،الذي يهيئ الأجواء للتجاوب المثمر.

أقام القرآن أساس الوحدة الروحية بين المسلمين فحثهم على الأخوة التي تمحو كل الحواجز العنصرية والإقليمية، فالعبادات بتفاصيلها من صلاة وزكاة وصيام وحج كل منها مظهر الأخوة الروحية والوحدة

الدينية يقول دراز: (جعل الله كل واحدة منها قطبا ذا طرفين،طرف يربط المؤمن بربه،وطرف يربطه بإخوانه المؤمنين ثم جعل كل واحده منها لمحبتين، لا يكمن الإيمان إلا بهما

مجتمعتين محبة الله، والمحبة في الله، هكذا أراد الله أن يجعل من عبادتنا شعاراً لوحدتنا، بل أراد أن يتحول هذا الشعار إلى شعور)[3].

أقرَّ هذه الأخوة في قوله تعالي: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾[الحُجُرَات : 10]، وقال– ﷺ – ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[1] وقال– ((المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا))[2].

من هنا ينتفي الخلاف والتفرق، وتضارب الآراء؛ لأن روح الإسلام تأبي ذلك وقد نهى سبحانه وتعالى عن التفرق قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ [الأَنفَال : 46]، ونهى عن الاقتداء بالمختلفين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ ،[آل عِمۡرَان : 105]، وأمر بوحدة الموقف والتمسك بحبله المتين في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عِمۡرَان : 103].

وغيرها من التوجهات التي يصغي لها كل مؤمن غيور على أمته، الراغب في نهضتها، وإخراجها من مأسي الخلافات إلى باحة الوفاق والنجاة، بالتسامح والعفو والمسالمة والتصالح لإدراكه أن ذلك من الأحكام التكليفية، وواجبه أن يقول:﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[البَقَرَة : 285]، قولا وعملاً لا شعاراً يسوقه وينساق إلى خلافه.

ودعا إلى الصلح والسعي في الإصلاح واعتبره من التكاليف التي تتحقق بها الخيرية في الدنيا والآخرة، وتنتفي بخلافها تلك الخيرية التي رتب عليها الأجر العظيم، قال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾[النِّسَاء : 114]، فبين أن المحاورات السرية لا تتحقق فيها الخيرية إلا إذا كانت من باب الأمر بالمعروف والإصلاح.

مفهوم الحوار ومشروعيته:

معنى الحوار في اللغة: من حارَ يَحُور حَوْراً رجع[1]، والحَوْر: التردد، وحار الماء في الغدير تردد فيه، وقوله – ﷺ – ((نعوذ بالله من الحور بعد الكور))[2]، أي من التردد في الأمر بعد المضي فيه، والمحاورة والحوار: المرادَّة في الكلام، ومنه التحاور، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[المُجَادلَة :1] .[3]

والحوار اصطلاحاً: هو الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا يقصد به الخصومة[4]، قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكَهۡف: 34] ، والمحاورة هي مراجعه الكلام بين متكلمين[5].

مشروعيه الحوار[6]: الحوار جائز شرعا متى كانت المصلحة المتوقعة منه أعظم من المفسدة المترتبة عليه، فالحوار هو الطريق الأمثل للإقناع والاقتناع، وقد ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم ثلاث مرات[7]، مرتان في سورة الكهف، ومرة في سورة المجادلة.

ومن الألفاظ المقاربة للحوار في القرآن الكريم الجدال، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العَنكَبُوت : 46]، وقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النَّحۡل : 125].

قيد الجدال بـ ((التي هي أحسن)) لما في اللين والرفق من وقع حسن في النفس قال ابن كثير (أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن الخطاب كما أمر موسى وهارون عليهما السلام، حين بعثهما إلى فرعون فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾[1] [طه : 44] ، وقال القرطبي (وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة، فهي محكمه في جهة العصاة من الموحدين)[2].

فالحوار ظاهر إنسانية، جبلة في الإنسان؛ فهو وسيلة من وسائل الدفاع في مقام الجدل وتبادل الآراء، وهو أيضا وسيلة من وسائل دفع الباطل ونصرة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

والحوار يساعد على مرونة التفكير، لقبول الفكر الصائب وترك الخاطئ دون النظر إلى صاحبه، فينتج عنه التفاعل الإيجابي وتضييق الفجوات بين الأشخاص، وهو وسيلة تثقيف وتبادل المعارف، ويفتح مجال حرية التعبير واحترام حرية الآخرين في الحدود المعروفة مما يرسخ فكرة تقبل الآخر، فتتحقق العدالة والاستقرار[4].

ولأهمية الحوار قدّم القرآن الكريم نماذجا كثيرة منها[1]:

1. ما دار بين الله– عز وجل– وملائكته في خلق آدم – عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[البَقَرَة : 30].
2. ما دار بين الله– عز وجل– وآدم عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البَقَرَة :33].
3. حواره سبحانه وتعالى مع إبليس تقريراً لمنهج الحوار في الاحتجاج ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾[الأَعۡرَاف : 12]، ويطول الحوار في مشاهد متعددة، ولما يئس إبليس من رحمة الله طلب الإمهال إلى يوم

القيامة حتى يتمكن من إغواء بني آدم حسداً، ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥﴾[الأعۡرَاف : 14-15].

4. حوار الله مع الأنبياء من ذلك، حوار إبراهيم مع ربه، وتكليم الله سبحانه وتعالى- موسى عليه السلام.
5. حوار الأنبياء مع أقوامهم، ولقد كانت دعوة كل نبي إلى قومه مشفوعة بحوارات لما في التنبيه بها من إثراء آلية الحوار في البرهنة العقلية بالمبادئ الدعوية.

فمنهج القرآن (مخاطبة الآخر بتساؤلات وحوارات تفتح له أفاق الخيار في اتخاذ القرار المناسب تجاه القضايا العقدية والفكرية والحضارية المطروحة وليس في القرآن قضية ذات أثر في التغيير والتطور تعرض بمنهج التسليم)[2]، بل تقدم لها الحجج والبراهين كي يتعاطى العقل السوي مع

معطياتها؛ لدفع الشبهات الباطلة، وإقامة الحجج الدامغة، والتعاون على معرفه الحقيقة وإظهارها؛ (لذلك أصبحت التنشئة على ثقافة الحوار ضرورة في [المجتمع] وذلك من خلال قنوات وآليات متنوعة تبدأ من الأسرة والمدرسة، وصولا إلى الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي والمؤسسات الدينية ومنظمات المجتمع المدني) [1]، السؤال المحوري: من الذي يتصدى للمصالحة؟

إن من يسعى في الإصلاح بين الناس وجب عليه مراعاة الآتي:

_ احترام أطراف النزاع ومراعاة خصوصية كل منهم، وأن يكون محايداً بحيث لا يميل إلى طرف دون الآخر.

- أن يضع نصب عينيه إظهار الحق ومناصرة أصحابه والإقرار بحقوقهم.
- الحث على مراعاة الآداب الإسلامية والتأكيد على أهميه العفو والتسامح من قبل إطراف النزاع، مع التأكيد على احترام الثوابت وعدم المساس بها.
- إلزام أطراف النزاع- أدبيا- بضرورة تنفيذ نتائج مساعي المصالحة، وعدم تعليقها.

أما أطراف النزاع فعلى كل منهم، صدق النوايا واحترام الطرف الآخر، والإمتثال لما توصلت إليه مساعي المصالحة، وتذكر أن الخصم ما هو إلا أخ لك في الدين، وشريك لك في الوطن، ورفيق لك في مسيره الحياة.

قواعد الحوار وآدابه

1. الحوار وتقبل الرأي الآخر، إبراهيم بشناق، كل العرب، أطلع عليه بتاريخ: 2023/9/26م.

على رعاة المصالحة وأطرافها التزام قواعد الحوار وآدابه لاختصار المسافة بين المتنازعين والتي منها:[1]

1. تحديد المصطلحات ومفهومها قبل بدء الحوار بحسب المسائل المطروحة سياسية أم دينية أم اقتصادية؛ لأجل توجيه الحوار نحو الأهداف المرجوة والابتعاد عن سوء الفهم من قبل الأطراف المتحاورة، مثلا: ما المقصود بالمصالحة الوطنية؟.

2. العلم بالقضية المطروحة للحوار وتحديد محل النزاع الذي يستلزم الوضوح في طرح الأفكار والتدليل عليها من النصوص وقرائن الواقع، وقد حذَّر الله من الجدل من غير علم أو دليل قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾[الحَج :8]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾[النَّمۡل : 64]، فالجهل بالموضوع أو عدم تحديده مضيعه للوقت والهدف.

3. الاتفاق على الثوابت والمسلمات، فمن القضايا لا يجوز الحوار حولها كأركان الإيمان، وما اتفق عليه العلماء من واجبات ومحرمات فهي قضايا محسومة.

4. الانطلاق من المتفق عليه [القواسم المشتركة] بين المتحاورين ثم المختلف فيه، فذلك يسمح بتهدئة الأجواء، وكسب الثقة، فيكون الحوار هادئا يجعل فرص الوفاق والنجاح أقرب وأفضل، فالاتفاق على الأخوة الإيمانية، والإيمان بضرورة الوحدة وعدم جواز التفرق يريح الخصم ويمهد الأرضية المشتركة لبدء الحوار الناجح.

5. التزام طرق الإقناع الصحيحة، وذلك بتقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة، وإثبات صحة النقل للأمور المروية، مراعاة للقاعدة المتعارف عليها في أدب الحوار والمناظرة (إذا كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل) وقد جاء مضمون هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾[النَّمۡل :64].

6. سلامة كلام المحاور ودليله من التناقض، أي لا يكون هناك تعارض في الدعوة أو الدليل؛ لأن ذلك مدعى إلى سقوطه ، من ذلك ادعاء فرعون أن موسى ساحر أو مجنون ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩﴾ [الذَّارِيَات: 38– 39]، فكيف تكون الصفتان لموصوف واحد فالساحر يتصف بالدهاء والذكاء والمجنون مسلوب العقل! وهذا ما جعل كلام فرعون ساقط لا صحة فيه.

7. تجنب الحيل في المناظرة؛ لأن ذلك دلالة على فقد الدليل والحجة، ربما بقصد به إطالة الحوار دون فائدة وهذا من شأنه أن يضيع الحق ويطغي الباطل.

8. قبول النتائج والرضا بها، مع ضرورة الالتزام الجاد بها، وإلا كان الحوار ضربا من العبث الذي لا يليق بالعقلاء؛ لأن المقصود من التحاور إتباع الحق، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ ،[الزُّمَر :18].

وغيرها من المبادئ والآداب التي تراعى لإنجاح حوار المصالحة الوطنية.

المصالحة الوطنية، مفهومها، وما يرجى منها:

معنى المصالحة لغة: من الصلاح: ضد الفساد، والصُلْح: تصالحُ القوم بينهم، والصلح: السلم، والصِلاح بكسر الصاد: مصدر المصالحة، والعرب تؤنثها، والاسم الصلح، وأصلح ما بينهم

وصالحهم مصالحة وصلاحاً[1].

واصطلاحا: المسالمة بعد المنازعة، و في الشريعة: عقد يرفع النزاع [2].

والصلح: مشروع بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ [الحُجُرَات : 9]، وقال– ﷺ – ((الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالاً أو أحل حراماً))[3].

والمصالحة الوطنية: هي توافق وطني يستهدف تقريب وجهات النظر المختلفة، ورأب الصدع، وردم الفجوات، بين الأطراف المتخاصمة أو المتناحرة [أو] هي السعي المشترك نحو إلغاء عوائق الماضي، واستمراريتها السياسية والتشريعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتصحيح ما ترتب عنها من الأخطاء والانتهاكات...)[4]، أي التوصل إلى وفاق بين المتنازعين.

والوطنية صفة من الوطن، والمصالحة الوطنية يقصد بها السعي في أن يتصالح أهل الوطن الواحد على مبادئ عامة تحقق الاستقرار للفرد والمجتمع في حدود الوطن الواحد الذي يعبر عنه بالدولة وهي في القانون الدستوري (جماعه من الناس يعيشون بصورة دائمة فوق إقليم جغرافي محدد، ويخضعون لسلطة سياسية واحدة)[5]، (ويحمل هذا التعريف للدولة ثلاثة أركان، الشعب الأقليم، السلطة السياسية، فالرابطة التي تجمع أفراد الشعب في ظل الدولة هي رابطة سياسية

قانونية تجعل الأفراد ملتزمين بحقوق للدولة، مقابل التزام الدولة بحقوق للأفراد)[1].

وليبيا كدولة بحدودها السياسية المعروفة ذات دين واحد، مما يجعلها تتصف بصفة الدولة بالمفهوم القانوني وبصفه الأمة بالمفهوم الشرعي وهذا من أهم عوامل التوافق واتحاد الكلمة إذا ما ابتعد أهلها عن التجاذبات السياسية والجهوية، ورفض تدخل جهات خارجية بدعوى رعاية المصالحة، والتي أثبتت فشلها بقصد، أو بغير قصد.

إن أنجع الحلول في هذه المسألة أن يقوم ذوو الشأن بأنفسهم بالسعي في إصلاح ذات بينهم أو الأشقاء حسب التوجيه القرآني، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات : 9–10].

إن من أهم الغايات المرجوة من إنجاح مساعي المصالحة الوطنية إقامة الدولة الفتية القوية التي تقوم بمهامها في بناء الوطن ومراعاة حقوق المواطن ويتجلى ذلك في الآتي[2]:

1. القضاء على أسباب الضعف ومنع وقوعه؛ ذلك لأن الدولة مركز نشاط رعاية أهداف المجتمع فيجب أن تكون قوية في الداخل والخارج، وأن تعمل على صيانة نفسها من عوامل الضعف وذلك بإسناد مناصب الدولة إلى أهلها.

2. مراعاة أسس المنهج العلمي للدولة في أمور الخلافة لله تعالى في الأرض في جميع شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بتطبيق أحكام الشريعة–القانون الإلهي.

1. بناء التنظيمات والهياكل الإدارية والمؤسسات كالوزارات وغيرها التي تعمل على تحقيق المصالح وصيانة المكاسب ودفع المفاسد والمنكرات، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾[الحَج : 41]، وهذا لا يعفي الفرد من القيام بواجباته.
2. تمكين الأفراد من القيام بواجباتهم بتسهيل استغلال الطاقات والإمكانات الفردية والاجتماعية لتحقيق المصالح الخاصة والعامة، قال– ﷺ – فيما رواه ابن عمر– رضي الله عنهما– ((ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته...ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته))[1].
3. رعاية حقوق الضعفاء والفقراء؛ لتجنب عواقب انفعالاتهم السلبية تجاه المجتمع، وبذلك يسود العدل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فيتحقق الأمن والاستقرار.
4. فرض احترام سيادة الدولة في العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى، وذلك بوحدتها، وقوة أجهزتها وقوة إنتاجها واقتصادها.

وغيرها من المهام التي يتحقق بها الأمن للوطن والرخاء للمواطن وتحترم فيها مكونات المجتمع على أساس المحبة والإخاء وقبول كل منهم الآخر بما يحمله من اختلاف، والمسارعة في الصلح من أول بوادر النزاع.

مفهوم الآخر، وأسس قبوله

الآخر: هو شخص،(أو شخصية اعتبارية) قد تختلف معه أو تتفق... واصطلاحا: يشير إلى من تختلف معه حصراً[1].

فالاختلاف سنة إلهية مقررة في القرآن الكريم، متلازماً مع التنوع قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾[الرُّوم : 22]، ولما كان الاختلاف بين الناس قد يقتضي التنازع استعير للمنازعة قال تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾ مَرۡيَم : 37]، إلا أن الله تعالى مع تقريره للتنوع يحث على قبول الآخر: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[الحُجُرَات : 13].

واليوم تبشر العولمة بمقولات جديدة كالقيم الإنسانية المشتركة، والأسرة الإنسانية الواحدة، وعلى مستوى وطننا العربي نحن مدعوون لتأكيد مبدأ الاحترام المتبادل فيما بيننا، والنظر إلى الآخر من زاوية تماثله لا اختلافه، وعلينا التأكيد الدائم على القواسم المشتركة التي تجمعنا.

وأن نؤكد هذه الرؤية على مستوى الدول والمدن والقرى، فذلك هو الطريق الذهبي نحو التعايش الأهلي الذي يعد اللبنة الأساسية في أمن الشعوب واستقرارها، علينا الابتعاد عن العصبيات الجهوية والطائفية والقبلية؛ لأنها تهدد وحدتنا واستقرارنا، وتعرض مكاسبنا التاريخية للخطر [2].

إن العلاقة مع الآخر لا تكون إيجابية إلا إذا تأسست على مبدأ الاحترام المتبادل بين المتحاورين واحترام كل الأطراف وجهة نظر الطرف الآخر، وإن لم يتحقق الاتفاق الكلي؛ لترسيخ
قيم التسامح واحترام إنسانية الإنسان بالبحث الجاد عن القواسم المشتركة[1].

إن من أسباب التواصل واستمراريته أن تنشأ ركيزة متينة، هذه الركيزة هي الداعم المشترك التي
تخلق التواصل الاجتماعي المبني على أسس الحوار الإيجابي[2].

ولتشخيص المشكلة لمعرفة الحل المناسب لها وجب معرفة أسبابها، فالنزاع والصراع هو نتيجة الخلاف لكن ما نوع هذا الخلاف وما أسبابه؟

فمن أنواع الخلاف:[3]

1. خلاف أملاه الهوى، وليد رغبات نفسية لتحقيق غرض شخصي وهذا النوع مذموم؛ لأن الهوى فيه غلب على تحري الحق، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[ص :26] ، ومن شأن هذا النوع أن يزين الانحراف عن الحق، او خلطه بالباطل.
2. خلاف أملاه الحق، وليس فيه للنفس حظ ولا للهوى سلطان، وهذا الخلاف اقتضاه العقل، ودفع إليه العلم، كمخالفه أهل الإيمان لأهل الكفر والنفاق والمعاصي، ويكون التوافق بعد استجابتهم لدعوة الحق وترك دواعي الباطل.
3. خلاف يتردد بين المدح والذم، وهذا يكون في أمور فرعية وهذا النوع يجب الحذر منه، إذ الجهل بتوجيهات الشريعة وتعاطيها مع معطيات الواقع.

أما أسباب الاختلاف التي تفضي إلى التنازع فمنها:

1. اتباع الهوى وخلط مفاهيم الحق بالباطل.

   التغاضي عن حقوق الآخرين وتهميش وجودهم.
2. التعصب للرأي وازدراء الرأي الآخر.
3. الغفلة عن ما يدبره الأعداء والمندسين لتفريق الشمل.
4. إبعاد الحكماء والمخلصين، وإقصائهم عن المشهد.

فإذا ما تم الانتباه لهذه الأسباب وغيرها لأجل تعطيلها، والسعي الحثيث من أجل الوفاق الفعلي حلت الأزمة، واجتمع الشمل، ويصبح ما حدث ماضٍ نعتبر منه عند تذكره.

فالحوار يبنى على وجود رؤى مختلفة ويكون الهدف منه إثراء الفكر، وترسيخ قيم التسامح، ومد جسور التفاهم، والانفتاح على الآخر لفهم وجهة نظره، وهو السبيل لاستيعاب المعطيات المكونة لمواقف الأطراف المتحاورة ثم تفاهمها(1).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، هذا ما تيسر جمعه ، وأرجو من هذا العرض أن يفي بالغرض .

نتائج البحث:

1. إن للدين أثره في توجيه السلوك لتبني الحلول الإيجابية التي ينعم بها الفرد والمجتمع.
2. إن من آليات تحقيق المصالحة الوطنية نشر ثقافة الحوار وتقبل الآخر دون إقصائه، أو هضم حقوقه، ولا يتحقق ذلك إلا بدعوة الجميع إلى التصالح انطلاقاً من ديننا الإسلامي الذي يدعو إلى العفو والتسامح والتوافق والتعاون، والأخذ بأسباب الائتلاف ونبذ أسباب الاختلاف.
3. إن الاختلاف سنة إلهية، وهو اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد، وهذا التنوع يلزم منه تنوع العادات والتقاليد والثقافات والأفكار ووجهات النظر وهو نوع من الابتلاء لقابلية الإنسان لأخيه الإنسان الذي تربطه به –على اختلافه –روابط الدم والدين والوطن...

تلك النتائج وهذه التوصيات:

1. الانطلاق من توجيه النصوص الشرعية لإنجاح مساعي المصالحة.
2. الالتزام بالحوار الهادئ المنضبط الذي يبعث الطمأنينة ويزيل الضغائن ويجعل الخصم يذعن لمنطق العقل بعد إذعانه لأوامر الشرع.
3. قبول الآخر بما يمليه الدين والأخلاق والواجب الاجتماعي والوطني لا سيما وقت الأزمات لتحقيق التعايش السلمي الذي يعد من لوازم الحياة الاجتماعية المقررة على المجتمع البشري.

قائمة المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم برواية حفص.

1. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن أحمد الغزالي، (دار صادر –بيروت– ط2، 2004 م).
2. أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي–فرجينيا–الولايات المتحدة الأمريكية – د ط1987 م).
3. أدب الحوار وأخلاقيات البحث، سعيد بن عبد الله العبري، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ع:11 .
4. الأزمة الليبية والمصالحة الوطنية، خالد التومي، المعهد المصري للدراسات، http://eipss-eg.org تاريخ الإطلاع: 27 / 9 /2023م.

5. الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، (مكتبة وهبة- القاهرة - ط 1410 هـ/1995م).
6. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (الدار التونسيه للنشر- تونس، دط،1984 م).
7. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تح: سامي بن محمد السلامة، (دار طيبة- ط: 2- 1429هـ/2008م.
8. ثقافة الحوار وقبول الآخر، حيدر فكي، مجلة العرب نشر في 2018/8/9م .
9. ثقافة الحوار فن ومهارة، موقع فيديو Feedo.net تاريخ الإطلاع 2023/9/24م.
10. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تح: مجدي محمد سرور، (دار البيان العربي-ط 1- 1429هـ/ 2008 م) .
11. الحوار وتقبل الرأي الآخر، إبراهيم بشناق، كل العرب، alarab.com تاريخ الاطلاع 2023/9/26م .
12. خصائص الإنسان ورسالته في تعمير الكون في الفكر الإسلامي، عمر التومي الشيباني، (مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ع5، 1988 م.
13. السنن، الترمذي، مختصر ديب البغا (اليمامة - دمشق، بيروت- 1421هـ/ 2000م).
14. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: احمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين- بيروت- ط4 1987 م).
15. صحيح البخاري (مكتبه نزار الباز- الرياض- ط:1- 1425هـ/2004م).
16. العلاقة مع الآخر، أسسها وضوابطها في ضوء الوسطية في الإسلام ، مريم آيت أحمد، wasatyea.net ، تاريخ الإطلاع: 2023/9/26م.
17. كتاب التعريفات، علي محمد الشريف الجرجاني، تحقيق وزيادة: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (دار النفائس- ط:3، 1433هـ/2012م).
18. لسان العرب، ابن منظور - محمد مكرم بن علي، (دار صادر- بيروت- ط: 1-1985م).
19. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: مصطفى بن العدوي، (مكتبه فياض -ط:1 - 1430هـ/2009م).
20. مفهوم الحوار مع الآخر وأهميته، مصطفى فاضل الخفاجي وعقيل محمد صالح، (مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، ع: 4 م: 7- 2017م).
21. منطلقات قرآنية للحوار، سعيد فاندي، (المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - ايسيسكو - 1432هـ/2011م).
22. من هو الآخر، عبد الجليل زيد المرهون، العربية، alarabiya.net تاريخ الإطلاع 2023/9/26م.